الاتجاهات الجديدة في الفكر الجغرافي الحديث

المادة : فكر جغرافي / م. د. نــدى جواد محمد علي المرحلة الرابعة / الدراسات الصباحية

بدأ علم الجغرافية وفي منتصف القرن السابع عشر عندما نشطت حركة رسم الخرائط والكشوفات الجغرافية سواء كان عن طريق الاستكشاف ،الغزو، التجارة والتبشير أو بسبب التطور السريع الذي رافق النقل وحركة التنقل من تطور البواخر وسكك الحديدية وتضاعف عدد السكان هذا التطور الهائل وبخطى سريعة فكان من نتائجه الدوران حول القارة الافريقية واكتشاف وتعمير دواخل القارات الاسيوية والاسترالية والأمريكيتين ،هذه الاسباب انحى علم الجغرافية منحى ثوري مع عصر النهضة فتحولت من الوصف الى علم يعتمد على التحليل ومحاولة ايجاد العلاقة المتبادلة ومحاولة الربط بين الظاهرات المختلفة .

وكانت البدايات للعلامة **بيرنارد فارينوس B.Verenuis** من خلال مؤلفاته ونشرها عام ١٦٥٠ **(الجغرافيا العامة)** وعرف الجغرافيا بانها مزيج من المعرفة الممزوجة بالرياضيات والتي من خلالها امكنه وصف الارض وتقسيمها بالطرق الكمية الى بأن فصل بين الجغرافيا العامة Ceneral Geography وهي الدراسات التي تختص بعموم الارض والخاصة Special Geography والتي تختص بأجزاء معينة من سطح الارض، الذي تميز بإبراز خصائص مكان معين بينما العامة تبين الاسس التي تخضع لها كل الاماكن ومؤلفه قسم الى ثلاث اقسام عالج في القسم الاول الارض من حيث الحجم والشكل، وفي القسم الثاني حدد فيه علاقة الأرض بالأجرام والكواكب السماوية الاخرى إما القسم الثالث فتحدث عن وصف الارض بالعموم ووضح فيه المواقع النسبية للأماكن الموجودة على سطح الارض ، كما ذكر فيه مبادئ الملاحة ،وبين اهمية للجغرافية الخاصة بالتقسيم المتمثل في الاول خواص السماء ومن ضمنها والمناخ ، والثاني خواص الارض بوصف وما فيها من التضاريس والحياة النباتية والحيوانية في جهات مختلفة من العالم، عندما تكون متصلة مع المفاهيم العامة وبذلك حدد المنهج العام Systematic للجغرافيا والمنهج الجغرافي

الاقليمي والاصولية Regional لذا يعد علامة مضيئة ونقطة تحول في تاريخ الفكر الجغرافي عموماً والاوربي خصوصاً لما له تأثير على الاجيال القادمة بعده فهو بحق المؤسس الحقيقي لعلم الجغرافيا بمفهومها الحديث.

وعلم الجغرافيا وصل الى ما وصل اليه بعد مروره بمراحل عدة واكبت التطور الفكري والمعرفي العلمي مع التطور التكنولوجي والتقني .

مراحل تطور علم الجغرافيا الحديث.

١- المرحلة الاولى : مـــا قبل للكلاسيكية والتي امتدت من ١٧٥٠- ١٨٠٠ م

اهم ما يميزها اهتمامها الواضح بالعلوم الطبيعية Natural Sciences وبدأ علم الجغرافيا يأخذ مكانه إذ اخذت تحاول صياغة القوانين الطبيعية العامة.

وهذا ما نادى به المستكشف الالماني **يوهان جورج آدم فورستر Johann Georg Adam Forster** (1754-1794) عندما حاول ابراز وتفسير العلاقة القائمة بين الانسان وما يحيطه من بيئته من ظواهر طبيعية وبشرية وجاء ذلك من خلال رحلاته الاستكشافية عام ١٧٧٢-١٧٧٥ الى البحار والقطب الجنوبي وقام بتدوين خبراته وتبويبها من مشاهداته، وقدم حسابات للكرة الارضية والانسان من خلال ما شاهده من تحركات قبائل الجرز الجنوبية ودرس تنوع علم الحيوان والنبات في البحار الجنوبية وله الفضل في ادراك صلة الوصل بين الجغرافية البشرية والبيئة الطبيعية

ومن من أهم الشخصيات ذات الفضل الكبير والاثر البارز لتلك المرحلة **ايما نويئل كانت (Emmanul Kant** 1724-1804) ومساهمة الفيلسوف الألماني واضحة من خلال محاضراته التي استمرت اربعون عاما بجامعة كونجسبرج وفيها اعطى للجغرافية الطبيعية اهتماما منفرد على اعتبار انها اساساً لجميع فروع الجغرافية ، وبما ان

الجغرافية الطبيعية تبحث في الطبيعية فهي اساس وجوهر ادراكنا للعالم ،واعتمد في بحوثه على الرحالة يسمع منهم ويسجل ملاحظاته.

جاءت معلوماته في هذا الميدان واسعة في علم المناخ والجيمورفولوجيا واكد على ان المعرفة تأتي من التجارب والتفسيرات والتعليلات فهو اراد ان يميز الجغرافية عن التاريخ ،فالجغرافية تأتي من تفاصيل المعرفة العينية، ودراسة مظاهر سطح الارض. فهو من واضعي اسس الجغرافية العلمية والتي شيد عليها من اتى بعده من الجغرافيين ،ورغم ذلك في تلك المرحلة بقيت الجغرافية متداخلة مع الحقول المعرفية الاخرى فالفيلسوف هو رياضي وفلكي وجغرافي وعالم حيوان وطبيب ،فلم تكن للجغرافية كتخصص مستقل بذاته برغم تنامي المعرفة وانتاج خرائط وتدرس في المدارس الا انها لم تستقل بذاتها.

٢- المرحلة الثانية :الجغرافيا الكلاسيكية وامتدت من ١٨٠٠-١٨٥٩م

توجه علم الجغرافية نحو الحداثة إذ أعتمد التحليل والتعليل وربط الظواهر فيما بينها وأبتعد عن الوصف، و يعد المستكشف الكسندر **فون همبولت Alexander Von Humboldt** (١٧٦٩ – ١٨٥٩) والجغرافي **كارل ريتر Carl Ritter** (١٧٧٩ – ١٨٥٩) من مؤسسي علم الجغرافيا الكلاسيكي الحديث ولهم الفضل بتطوير المفاهيم والافكار بالبحث عن حقائق الظواهر وتوزيعها المكاني وعلاقتها المكانية وتربطها فيما بينها، عن طريق التجارب والمشاهدة (الدراسة الميدانية) والذي يعتمد بالأساس على التجربة العلمية فهم من وضع علم الجغرافية في مسارها الصحيح.

ركز الكساندر فون همبولت في توجهاته نحو الدراسات الطبيعية لتشمل العالم بأكمله أي الجغرافية العامة بالرغم من كونه ليس جغرافيا الا ان حبه للطبيعة جعله يقتحم الميدان الجغرافي، وأكد على الجغرافية الطبيعية ودراسة الاختلافات الموجودة على سطح الارض وتوزيعها، وحاول أكتشاف العلاقات بين الظواهر التي درسها من خلال ملاحظاته للظواهر الموجودة على سطح الارض

ومن ابرز اعماله ابتكار خطوط الحرارة المتساوية كأساس للدراسات المناخية واعتماد الخرائط الملونة ذات المحتوى العلمي مع استخدام القطاعات العرضية في دراسة التضاريس وقام برحلة لأمريكا الوسطى والولايات المتحدة، ونجحت ملاحظاته تلك في تقديم افضل صورة للمكان بسماته البارزة فضلاً عن تفاصيل دقيقة كل جزء من المنطقة، وتميز كتاباته اهتماماً خاصاً بالجغرافية الجيويولوجية، كما يظهر علاقة الارتفاع مع اشكال النباتات

إما كارل ريتر حاله اهتم بطبيعة الجغرافية ، وهو كحال زميله من حيث أكد بأن الجغرافيا هي علم الارض وانها مهد الانسان وصنعت بكل تفاصيلها لتلائم حاجات الانسان ، وفضل الدراسات التجريبية المبنية على الدراسات الحقلية (الدراسات الميدانية) في محاولة للوصول الى عمل قوانين او أسس لتغطية العلاقات بين الحقائق التي جاءت بها الدراسات الميدانية والتجريبية مبتدأ من المشاهدة والاقدام على الرحلات وصف الاقاليم والعناصر وتحليل الظاهرات والترابط فيما بينها وصولا الى القوانين ، وركز ريتر على النواحي التاريخية والسياسية والبشرية للأقطار .

ركز ريتر في بحوثه على الجغرافية الاقليمية Regional Geography تدرس وتهتم وبالبحث والتفسير الاختلافات المكانية لظواهر سطح الارض طبيعياً وبشرياً للتوصل الى نتائج اسباب التشابه والاختلاف بمعنى اخر الظاهرة لا تدرس معزولة ومفردة .

ومع ان الاثنان قد اهتموا بالإنسان الان ان ريتر شدد دراساته على اهمية التنظيم الاقليمي بينما نجد همبولت كان الاتجاه نحو المعالم الطبيعية، كانت اوضح ،تلك الفروقات أدت الى الثنائية والازدواجية (الطبيعية والبشرية) في الجغرافية والتي ظهرت بوضوح بعد وفاة العالمين الجغرافيين همبولت وريتر .

فتحت تلك الآراء والاختلافات الباب على مصرعيها للتيارات الفكرية والنظريات العلمية بالظهور، تميزت هذه المرحلة بالإنتاج العلمي الغزير مثل اصدار الاطالس المناخية والنباتية ،كما زاد الاهتمام برسم المقاطع الجيولوجية والطبوغرافية واستخدام المقاييس الكسرية أو النسبية لتكن خرائط دقيقة ذات اهداف علمية ،ويلاحظ ان الاهتمام بالظاهرات الطبيعية كان الابرز من حيث التأكيد على دراسة الارض والحياة ورصد الظواهر الجغرافية الطبيعية .

المرحلة الثالثة : مـا بعد الكلاسيكية من ١٨٥٩-١٩٠٤

بعد وفاة كل من همبولت وريتر عام ١٨٥٨،انحت الدراسات الجغرافية منحيين اهتم الاول بالمواضيع الطبيعية ودرست الارض كوحدة طبيعية واهتمت الثانية بالمواضيع البشرية الاقليمية وأعدت الارض مسرحاً لنشاط الانسان ،بالرغم من محاولة العالمان همبولت وريتر لإيجاد ميدان موحد الا ان المغالة في آرائهما والمحاولات بإيجاد افكار جديدة لطبيعة الجغرافيا، جعلت من علم الجغرافية يكون باتجاهين.....

وفي النصف الاول من هذه المرحلة من ظهرت فيها عدة تيارات وبذلك ممكن تقسيمها الى عدة مراحل ثانوية الاولى منها :-

١- امتدادا للمرحلة السابقة وتوجيه الاهتمام بالجغرافية التاريخية كما انها اتجهت نحو الاقليمية مبتعدة عن الاصولية ومن اهم علماء هذا التيار غيوت Guyot Arnoldمن امريكا وأليزيه ركلس Reclus Elisee من فرنسا والذي قدم وصف عام منهجي لكل سطح الارض.

٢- اما التيار الثاني فهو التيار العلمي المادي فالعلاقة بين الانسان والبيئة تغيرت ،فالبيئة الطبيعية اصبحت محيطاً جيداً لعمل الانسان واظهار قابليته لقدرة الانسان وابداعه بعدما كان قطباً فاعلا.....

تلك التيارات قادت الى انقسام الجغرافية الى حقلين: **الاول** يهتم بدراسة الارض كوحدة طبيعية متمثلة بالجغرافية الطبيعية **والثاني** يهتم ويدرس الارض وعلاقة الانسان بها وهي الجغرافية البشرية، قادت هذه الثنائية الى صراعات فكرية بين المجموعتين المجموعة الاولى اتجهت الى آراء همبولت والمجموعة الثانية تماشت افكارها مع كارل ريتر واستمر الجدل الفكري والذي وصل الى مرحلة التشكك بالرغم من ان همبولت وريتر كانا متفقين في القواعد والمبادئ العامة لعلم الجغرافية ،واستمر الحال الى النصف الثاني والتي امتدت من ١٨٧٠وما تلاها ظهرت عدة كتابات منها شميدت Schmidt وفرديناند ريخشتوفن Richthofen Ferdinand واوسكار بيشل Peschel .....

هذه الافكار والبحوث قادت الجغرافيين نحو البحث بالمنهج العلمي الرصين لدراسة مورفولوجية الاشكال الارضية في المقام الاول وبث الروح العلمية من جديد لعلم الجغرافيا ، وعولجت مسائل حديثة في علم الجغرافية لها الفضل بذلك في تصحيح مسار الفكر الجغرافي باتجاهه العلمي الصحيح وارساء القواعد الاساسية للجغرافيا الطبيعية الحديثة كما ركزت البحوث على دراسة تاريخ الجغرافيا ومقارنة الظاهرات المتشابهة ....

أخـــذ المؤيدون والمغالون ينحون منحى البحث والدراسة بالجانب الطبيعي والتخلي عن الجانب البشري ، وسبب هذا الاتجاه ان اغلب الباحثين هم من الجيولوجيين من المنطقي ان تظهر اهتماماتهم حسب خلفيتهم العلمية، كان من نتائج تلك المرحلة هو **الجغرافيا العامة مقابل الاقليمية والطبيعية مقابل البشرية** واصبحت الجغرافية ذات شقين لولا تدخل عالم ألماني أخر هو فردريك راتزل Friedrich Ratzel الذي سناتي على ذكره ضمن مدارس الفكر الجغرافي....

،إما من جانب البحوث فظهرت عدة دراسات اغلبها اتخذت منحى الجغرافيا الطبيعية متأثر بتلك المرحلة وبأفكار معاصريها مثل بحث ريخشتوفن عن جيولوجيا الصين وليبتعد عن دراسة الانسان، مستمد افكاره من رحلاته الى الشرق ،ويعتقد ريخشتوفن اول من حصر دراسة الجغرافيا على قشرة الارض عندما القى خطابه عام١٨٨٣ في جامعة ليبيزغ والتي كانت قبل ذلك التاريخ تركز على ان الارض كلها ميدان للبحث الجغرافي.

ومثله فعل البرت بنك Pank Albert الذي تدرب كجيولوجي في دراسته ((مورفولوجية سطح الارض)) الذي اعلن عنه عام ١٨٩٤،حتى انه في ١٨٩٥ نقد بشكل كبير تعريف الجغرافية ((دراسة أين الاشياء)) .....

ومن بين اشهر علماء تلك المرحلة الامريكي ووليم موريس دايفيز W.M.Davis والذي بفضله باتت الجيمورفولوجيا الحقل الرئيسي في الجغرافيا لتلك المرحلة.

ومع نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر ندرك كيف تطور علم الجغرافيا الحديث وكيف تبنت المدارس تلك الافكار وتبلورت الافكار والمناهج العلمية كقاعدة لكثير من العلوم ، وتعد الجغرافيا الالمانية بحق قاعدة انطلاق لعلم الجغرافية وللفكر الجغرافي الحديث وبعدها تبنت الافكار مختلف الدول الاوربية والعالم اجمع واغلب مدارس الفكر الجغرافي التي ظهرت بعدها استسقت افكارها من الجغرافيا الالمانية. ....